شيخ الأزهر والشيخ فضل الله أدانا الثلاثاء الرهيب

فلا تحولوها صهيونية صليبية

ما الفائدة من إطلاق لقب (انتهازي عنصري) على مجرم حرب سفاح؟ إن صفة مجرم الحرب السفاح تجمع بالضرورة ما يهون أمامه الانتهاز وتتضاءل العنصرية. لذلك يبدو إطلاق هذه الأوصاف الجديدة نوعا من المديح ورفع الشأن. وإنما تجلت في موقف آريئيل شارون وعلى لسانه ولسان الإعلام الإسرائيلي انتهازية سياسية طغت حتى على الوحشية المألوفة والعدوان اليومي لقوات الاحتلال، وأوضحت لمن يريد أن يفهم ويعي من الأمريكيين المنكوبين أن إسرائيل لا تكتفي بالعيش على أموال دافعي الضرائب الأمريكيين، بل تريد أن تستثمر مصائبهم لأغراضها وأحقادها الخاصة.

فمنذ الساعات الأولى لأحداث يوم الثلاثاء الماضي، ودون أن يصبر شارون برهة للتأمل، ناهيك عن الحزن، على ما أصاب أمريكا، إذا به ينتهز المناسبة، ويحاول توظيف الأحداث للتحريض على الفلسطينيين، رابطا بقدرة فاجر بين المنتحرين في نيويورك وواشنطن وبين العرب أهل فلسطين. جاعلا نفسه في الموقع ذاته مع الضحايا الأمريكيين!

لا شك أن شارون سبق أن تحدث أمام الرئيس الأمريكي وأمام كل مسؤول هناك بهذا المعنى، وألح عليه في كل مرة أتيحت له الفرصة في الولايات المتحدة. وقبل شارون بزمن ملحوظ كتب شبيهه اللدود بنيامين نتنياهو في كتابه " مكان بين الأمم " الذي يعد مرجعا صارخا في الحقد الصهيوني، والذي هاجم فيه جميع العرب والمسلمين وقادتهم وزعماءهم حتى الموصوفين بالاعتدال يقول: ((إن منظمة التحرير الفلسطينية لم تكن مجرد واحدة من منظمات الإرهاب العالمية، إنما كانت المنظمة التي جعلت الإرهاب مصطلحا عالميا في العهد الجديد)) ثم يتسلسل نتنياهو في كلامه فيقول: ((آمنت دائما أن المفتاح للقضاء على الإرهاب الدولي يكمن في تجنيد الولايات المتحدة الأمريكية لهذه الحرب، إذ إنه منذ اللحظة التي تسلك فيها الولايات المتحدة الطريق الصحيح ستجر وراءها بقية الدول الغربية.)) و يقول في سطور تالية ((كان لدولة إسرائيل دور رئيس في تجنيد الولايات المتحدة لهذا الهدف)).. و ((بذل الدبلوماسيون الإسرائيليون جهدا كبيرا لإقناع حكومات الولايات المتحدة والدول الغربية بأنه يجب على هذه الدول أن تتصرف كما تتصرف إسرائيل.)). ووصف نتنياهو ببعض التفصيل كيف راحوا يفبركون الحجج الكلامية ويعمدون إلى توزيع الدعايات التي تعتمد على وقائع مصبوغة بصبغتهم، يقومون بنشرها في الولايات المتحدة الأمريكية بكل وسيلة ممكنة معتمدين طبعا على المنظمات الصهيونية المتغلغلة في حياة الأمريكيين.

حملة واحدة أم حملات؟!

يجب أن تكون هذه الخلفية ماثلة في أذهاننا ونحن نتابع ما يجري في الولايات المتحدة اليوم. وما أخطر ما يجري! فأحد الاحتمالين القويين وراء هذه الخطوات الأمريكية المتسارعة لتشكيل الائتلاف الدولي المساند للتحرك الأمريكي هو أن يكون التحرك في جوهره ميلادا للمولود الذي وضع الصهيونيون عبر سنين طويلة بذرته الخبيثة في أحشاء الولايات المتحدة، وكانت عمليات الطائرات في نيويورك وواشنطن قابلته الدموية، فنشهد بالتالي حملة أولى من بين حملات صليبية صهيونية مزمعة، ضد العالم الإسلامي الآسيوي عامة، وضد المنشآت

النووية الباكستانية والإيرانية وضد ما تبقى من القدرات العسكرية العراقية على وجه أخص. وفي تلك الحالة قد تمثل الضربة العسكرية ضد أفغانستان مجرد افتتاحية لمشاهد سوف تتوالى تباعا، حسب سيناريو تفتعل فيه الأسباب والذرائع والمناسبات. إن هنري كيسنجر الذي اتضح أنه ما زال حيا يرزق يهيب بالإدارة الأمريكية الجمهورية، وله دالة عليها طبعا، أن يكون ردها مماثلا للضربة التي تلقتها. ولما كان العالم خاليا من مبنى في مثل حجم مركز التجارة في نيويورك أو مبنى البنتاجون في واشنطن فإن من غير المستبعد أن تكون إشارة كيسنجر الضمنية إشارة نحو المنشآت التي ذكرناها.

أما الاحتمال الثاني الأضعف فهو أن الإدارة الأمريكية التي وجدت نفسها في موقف حرج أمام الجمهور الأمريكي بسبب القصور في إجراءات الأمن والوقاية، اتبعت أسلوبا يقضي بتحويل الشحنة العاطفية الهائلة التي نجمت عن فظاعة مشاهد الموت والدمار وقوتها وتأثيرها في عامة الناس، نحو مصدر خارجي، هيأت أجهزة الإعلام المملوكة للوبي الصهيوني الرأي العام لتصوره مصدرا للشر والأذى، وهو العالم الإسلامي. وفي هذه الحالة، حتى لو تأكدت الإدارة الأمريكية بالدليل القاطع أن بن لادن أو غير بن لادن من العرب والمسلمين لا علاقة لهم من قريب أو بعيد بما حدث يوم الثلاثاء الرهيب، فلن تتوقف عن خطتها لإيقاع ضربة كبيرة بأفغانستان غالبا يستفاد منها تلفزيونيا لامتصاص نقمة الشارع الأمريكي. وقد بدا واضحا أن الإدارة الأمريكية مصممة على توجيه الضربة الامتصاصية منذ اليوم الأول، وقبل أن تتكشف أية نتيجة من نتائج التحقيق.

والفارق كبير بين الاحتمالين وما يترتب على كل منهما. وذلك على الرغم من أن ما يترتب على الاحتمال الثاني، الذي هو أهون الشرين، ليس صغيرا ولا هينا.

في موضع صبرا وشاتيلا

لا أحد ينكر أن ما حدث في الولايات المتحدة فظيع. وقد أدانه شيخ الأزهر وأدانه الشيخ حسن فضل الله على حد سواء. وقد نقشت مشاهده المؤلمة في قلوبنا في الموضع ذاته الذي نقشت فيه مشاهد دير ياسين وقبية وصبرا وشاتيلا. ولكننا نستطيع أن نقول للولايات المتحدة ما قاله الكثيرون في هذه المناسبة: إن عليها أن تراجع سياساتها. وأول ما يجب أن تراجعه هو أن لا تدع هذا الجسد الأمريكي الكبير رهنا بعقل صهيوني صغير تتحكم فيه الأحقاد المريرة.

وعلى الذين يحرصون على الولايات المتحدة بشرا وحضارة وعلما واختراعا ممن لا تطعمهم الولايات المتحدة ولا تسقيهم ولا تعولهم، أن يقولوا لها إن مسؤوليات الكبير كبيرة، وإن قارة آسيا القديمة بدولها وشعوبها، لن تكون مرتاحة لردود أفعال أمريكية تنسى فيه أمريكا وزن ضرباتها وأثرها على المجاورين.

لقد أوردت أخبار الأمس نبأ امتناع روسيا عن السماح للقوات الأمريكية باستخدام أراضي دول الاتحاد الروسي الآسيوية، كما أوردت الأخبار نبأ مماثلا من الهند. وسبق للصين أن أبدت تعاطفها بسبب الحوادث الأليمة وقال ناطقها في الوقت نفسه إن على الولايات المتحدة أن تراجع سياساتها، أو قال شيئا من هذا القبيل.

وسوف تكشف الأيام القليلة القادمة هل تملك الولايات المتحدة رأسا فيه دماغ خاص بها أم أن اللوبي الصهيوني أصبح دماغها ومركز أعصابها الوحيد؟

ومن مصلحة الولايات المتحدة حتما أن يكون لها دماغها، وأن لا يكون دماغها في قبضة شارون. وإذا كان للأمريكيين دماغهم الخاص فسيتضح ذلك من تفكيرهم بطريقة تخالف الطريقة الإسرائيلية. ونعني بالطريقة

الإسرائيلية تلك المادية البحتة، التي تضع في حسبانها أن العمل العسكري والأمني هو الوسيلة إلى القوة وإلى تأمين الذات. وكلما كان أصحاب الحق الفلسطينيون ينازعونها من أجل حقهم وينجحون في إيقاع أذى بها كانت تعمد إلى اقتناء أسلحة جديدة وابتكار تدابير جديدة فيما تطلق عليه الأمن، وكان أصحاب الحقوق ينجحون دائما في اختراق تلك التدابير والتغلب على تلك الأسلحة بوسائل غاية في البساطة. واستمر ذلك دون أن تحظى إسرائيل بالأمن الذي عللت به مستوطنوها على مر الأيام.

ليست هناك تدابير أمنية ولا أسلحة بوسعها أن تحقق الأمان الدائم. وفي تاريخنا الإسلامي قصة بسيطة عن الخليفة عمر بن الخطاب الذي سأل عنه سفير وافد من قبل ملك عظيم، فوجده نائما تحت شجرة بمكة، ملتفا بعباءته دون حراس ولا مرافقين، فقال: عدلت، فأمنت، فنمت.

وللاستدراك سأضيف أيضا: هب أن تدابير القوة استطاعت أن تخرس الأفواه وأن تقطع الأيدي وتنشر الرعب عاما أو عامين أو عقدا أو عقدين أو قرنا أو قرنين، فهل بإمكان أحد أن يبقى الدهر مفتوح الأعين لا ينام، متنبه الذهن لا يتشوش، وقد حصن تدابيره من الاختراق؟!

ذرة عدالة يا أمريكا، فهي أبقى على الزمان.